

الباب الثالث

المراد عن البداء عند أهل السنة والجماعة والشيعة، والتفسير عن آيته عندهما والإستنباط منه

أ. تعريف البداء عند السنيين والشييعين

١. البداء عند السنيين

إن في أهل السنة والجماعة، لم يعرف هذه العقيدة واللفظة.^١ ويظن السنيون أن البداء لله مساوي بالبداء للخلق، أن جد له تعالى رأي جديد بعد أن قدر شيئاً، فيمحوه ويثبت الآخر منه. فلذلك، يحذر السنيون على طوائفها حذراً شديداً وانتقاداً جارحاً من هذه العقيدة، لأن هذه العقيدة يجعل ذليلة دنيئة هنيئة غير لائقة لذات الله جل وعلا.^٢

فسأل السنيون عن تسمية هذه العقيدة، لأن في الآية المذكورة التي كانت دليلاً لثبوت البداء للشيعة لم يوجد التعلق، والإرتباط، والإتصال بالبداء. وفي عهد نزول الوحي لم يعرف المسلمون بهذه اللفظة والإصطلاح. وكان لفظ البداء بمعنى الظهور يوجد في كثير من الآية القرآنية، مثلاً من سورة الزمر آية ٤٧ و٤٨ (وبدا لهم من الله ما لم يظنوا يحتسبون. بدا لهم سيئات ما كسبوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون)، ومن سورة الجاثية آية ٣٣ (بدا لهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون)، ومن سورة آل عمران آية ١١٨ (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)، وفي سورة الأعراف آية ٢٢ (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سيئاتهما). إن في كل الآيات المذكورة يوجد لفظة البداء بمعنى الظهور، ولكن لم يذكر به النبي عليه الصلاة والسلام والصحابة كلهم عليهم رضوان الله على شيء

^١ الشيخ حسن عبد الساتر، نظرية البداء: محاولة جديدة لفهمها، ١٢.

^٢ عثمان بن محمد الخميس، شبهات الشيعة والرد عليها، ٧٥.

مخصوص، وفضلا على العقيدة في هذا الدين القويم. وغير ذلك، يكون المخاطب في تلك الآيات القرآنية المخلوق، ليس الخالق جلا وعلا.^٣

وأما لفظة البداء بمعنى جدّ الرأي أو نشأ في الرأي فلم يوجد من الآية القرآنية إلا آية واحدة، وهي من سورة يوسف آية ٣٥ (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين). ولكن، كان المخاطب في هذه الآية القرآنية نسب إلى المخلوق كما في الآية الأخرى، ليس الخالق جلا وعلا. فلذلك، ليس أحد من السنين، أي من علماءهم، يرون أن الله البداء، لأن هذا البداء صفة ذليلة دنيئة هنيئة غير لائقة لذات الله جل وعلا. بل، يشبهون هذه العقيدة للشيعية بعقيدة اليهودية، بأن الله له رأي جديد الذي كان خافيا من علمه قبله. كما يوجد في التوراة هذه الآية "رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأنني حزنت أني عملتهم".^٤ وغير ذلك، يوجد فيها كثير من آياتها الأخرى التي تدل على ندامة الله تعالى عن إرادته وقدره، لأنه جاهلا عنها من قبله، فيمحوها ويثبت الأخرى عنها.

يذكر هذه اللفظة التي كانت نسبت إلى الله جلا وعلا في صحيح البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه حدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا...".^٥ فشرح ابن حجر العسقلاني عن لفظة البداء في هذا الحديث

³ Tim Penulis Pustaka Sidogiri, *Mungkinkah Sunnah-Syiah Dalam Ukhuwah*, 276-277.

⁴ Tim Penulis Pustaka Sidogiri, *Mungkinkah Sunnah-Syiah Dalam Ukhuwah*, 277-279.

^٥ أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري ج. ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م).

بقوله أن (بدا لله) بتخفيف الدال المهملة بغير همز أي سبق في علم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيا لأن ذلك محال في حق الله تعالى. وقد أخرجه مسلم عن شيان بن فروخ عن همام بهذا الإسناد بلفظ (أراد الله أن يتليهم)، فلعل التغيير فيه من الرواة... وأولى ما يحمل عليه أن المراد (قضى الله أن يتليهم)، وأما البدء الذي يراد به تغير الأمر عما كان عليه فلا".^٦

وكان أول ظهوره عند السنيين أنه يكون في الكيسانية أو المختارية. فإن المؤسس من هذه الفرقة، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي يقول مخبرا لجنوده أن الله أوعدهم بالفتح من جنود مصعب بن الزبير. ولكن بالعكس، فيكون المغلوب منهم. فلذلك، قدموا عليه لطلب الوعد من الله عليهم بالفتح، فقال "مكننا وعدني ربي، ثم بدا. فإنه سبحانه وتعالى قد قال: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب). وهو يقول بهذا القول لأنه قال من قبله أنه قد يعلم الأمور المغيبة، فإذا كان علمه وقوله مخالفا بما وقع، فيعطل بالحجة والعذر، لكي لم يذهب الائتمان من أتباعه إليه. فيقدم تلك الآية الكريمة لتكون حجة عليه.^٧

وأما الإمامية، يعتقدون أن الإمامة يوصى إلى الإبن الكبير لذلك الإمام. إلا الحسين عليه السلام، لأن قد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه كما روي في كتابهم "الحسن والحسين إمامان قاما وقعدا".^٨ هذا الاعتقاد يستمر إلى الإمام السادس، وهو الإمام جعفر الصادق. وكان قد أوصى لابنه الكبير، إسماعيل بن جعفر. ولكن، قد مات في حياته. فلذلك، يوصى تلك الإمامة لأخيه الصغير، وهو موسى الكاظم بن جعفر.

^٦ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح البارئ شرح صحيح البخاري ج. ٥، (بيروت: دار الفكر، ١٤١١ هـ/١٩٩٠ م)، ١٧٦.

^٧ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي، الفرق بين الفرق، ٥٢.

^٨ الدكتور موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح، (نجف: دار القلم، ١٤٢٥ هـ/١٩٩٥ م)، ١٨٤.

ومن هنا، فنفتت هذه الوقعة الاعتقاد الأول، بأن الإمامة يوصى إلى ابن الكبير. فيعللون بالحجة والعذر ليجرحهم من هذه المسألة. فيتخذون حديث البداء المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق، كما قاله: "ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل إبنني إذ احترمه قبلي ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي".^٩

وهم يحزنون بهذه المسألة. وكان هذه المسألة تجعلهم بشدة الإستحياء. لأن قد اتخذوا عقيدة بأن إمامهم معصومون ويعلمون الأمور المغيبة، كما يكتب في كتبهم "يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء".^{١٠} ولكن، فإذا كان الإمام جعفر الصادق الذي كان معصوما يخالف من هذه العقيدة، فيكون البداء أحسن مخرجا لهم. بأن يقولوا إن الله رأيا جديدا الذي كان خافيا من قبله. فهذا أول ظهور البداء للإمامية عند السنيين، كما يكون للكيسانية أو المختارية.^{١١}

قال شيخ المفسر الإمام القمي في جواب ما يقوله الإمام إذا كان يقع وفي جواب ما يقوله إذا لم يقع: "إذا حدثناكم بشيء فكان كما نقول فقولوا: صدق الله ورسوله، وإن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق الله ورسوله، تأجروا مرتين".^{١٢} فهكذا اعتقد الشيعة بأن الله البداء، أي له رأي جديد الذي كان خافيا من قبله. فهذه العقيدة تستعمل في أعمالهم اليومية، مثلا، إذا كانوا يزورون إلى الضريح للإمام علي الهادي النقي وهو الإمام العاشر في الإمامية، والضريح للإمام حسن العسكري وهو الإمام الحادي عشر، فيسلمون عليهما

^٩ أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، التوحيد، (دون المدينة: مكتبة التجارة، ١٩٩٤ م)، ٣٣٦.

^{١٠} العلامة المحدث محمد بن يعقوب الكليني، الكافي ج. ١، ٢٦٠.

^{١١} Tim Penulis Pustaka Sidogiri, *Mungkinkah Sunnah-Syiah Dalam Ukhuwah*, 284.

^{١٢} أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ١، (قم-إيران: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، دون السنة)، ٣١٠.

بهذه اللفظة "السلام عليكم يا من بدا الله في شأنكما". لأنهما يكونان البداء عليهما كما يكون على الإمام جعفر الصادق والإمام موسى بن جعفر.^{١٣}

البداء عند السنيين صفة مستحيلة لله جل وعلا، لأن من قال "إن الله البداء" فكأنه يقول إن الله جل وعلا لم يعلم بما يقع من عواقبه بعد أن قدر شيئا. فإن الله سبحانه وتعالى قد أخبر بأنه يعلم ما في السماوات والأرض وما بينهما، سرا وجهرا، غيبا وظهورا كما أكدته الآيات القرآنية، منها (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء)^{١٤}، (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين)^{١٥}، (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)^{١٦}. ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة، فواضح لنا أن الله تعالى كان يعلم ما في السماوات والأرض، ولا يفوته شيء من علمه.

٢. البداء عند الشيعة

البداء لغة مصدر من كلمة بدا يبدو بدوا وبداء وبداءة وبدواة، بمعنى ظهر يظهر ظهورا.^{١٧} وذكر السيد مرتضى العسكري أن للبداء في اللغة معنيين، المعنى الأول كما ذكر، والمعنى الثاني أن البداء بمعنى جد

^{١٣} ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ج. ٢، ١٠٧٧.

^{١٤} سورة يونس الآية ٦١.

^{١٥} سورة السبا الآية ٣.

^{١٦} سورة الأنعام الآية ٥٩.

^{١٧} محمد ورسون منور، قاموس المنور، ٦٧.

الرأي، أو نشأ في الرأي.^{١٨} أما في الإصطلاح، البداء هو الظهور بعد الخفاء.^{١٩} فالبداء بهذا المعنى يستحيل لذات الله تعالى، والشيعية تنبراً من البداء بهذا المعنى في حقه تعالى.^{٢٠} فالبداء المنسوب إلى الله جل وعلا هو بمعنى ظهر لله من المشيئة ما هو مخفي على الناس، وعلى خلاف ما يحسبون.^{٢١}

كان البداء صفة ثابتة منسوبة إلى الله جل وعلا، ولكن البداء لله مختلف بالبداء للخلق. فالبداء المنسوب إلى الله جل وعلا يخلو عن الجهل، كما جاء في رواية عمرو بن عثمان أنه قال: "إن الله لم يبدو له من جهل".^{٢٢} وأما البداء المنسوب إلى الخلق فلا يخلو عنه. ثم ذكر العسكري في كتابه "البداء" أن قد أخطأ من ظن أن المقصود من بدا لله في أمر بداء جدّ له في ذلك الأمر غير الأمر الذي كان له قبل البداء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.^{٢٣} وقال ابن بابويه القمي: "إن البداء لله ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة، تعالى الله عن ذلك، ولكن يجب علينا أن نقر لله عز وجل بأن له البداء، معناه أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقته قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره".^{٢٤}

كما ذكر القمي فقال الطوسي في معنى البداء لله بأن بدا لله فيه بدا من الله فيه، وهكذا القول في جميع ما يروى من أنه بدا لله في إسماعيل معناه أنه بدا من الله، فإن الناس كانوا يظنون في إسماعيل بن جعفر أنه الإمام بعد أبيه، فلما مات علموا بطلان ذلك.^{٢٥} فهذا المعنى يؤكد بالتعريف لمحمد حسين علي كاشف

^{١٨} السيد مرتضى العسكري، البداء، ٧.

^{١٩} عبدالله حسن الموسوي البحراني المحرق، بحث حول لبداء، ٩.

^{٢٠} السيد محمد سلطان كلنتر، البداء عند الشيعة الإمامية، (نجف: منشورات جامعة النجف الدينية، ١٣٩٥ هـ)، ١٦.

^{٢١} محمد جواد البلاغي، مسألة في البداء، ٢٠.

^{٢٢} محمد باقر الدما، نبراس الضياء وتسوّاء السوّاء في شرح باب البداء وإثبات جدوى الدعاء، ١٣.

^{٢٣} السيد مرتضى العسكري، البداء، ٧.

^{٢٤} أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، التوحيد، ٣٣٥.

^{٢٥} أبو جعفر محمد بن حسن بن علي الطوسي، الغيبة، (بيروت: مؤسسة أهل البيت، ١٩٨١ م)، ٥٥.

الغطاء، كما ذكره في كتابه "الدين والإسلام": "البداء، وإن كان في جوهر معناه هو ظهور الشيء بعد خفائه، ولكن ليس المراد به هنا ظهور الشيء لله جل شأنه. وأي ذي حريجة ومسكة يقول بمجده المضلة، بل المراد ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم. وقلنا بدا لله أي بدا حكم الله أو شأن الله".^{٢٦}

وأما من يعتقد بأن البداء لله كالبداء للمخلوق فهو قد أخطأ عن الشيعة وما فيها. وهذا ليس بمذهبهم وخارج من طريقتهم.^{٢٧} فتبرأ الشيعة عن هذه العقيدة، كما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام "من زعم أن الله تعالى يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فأبرؤا منه"، وفي رواية أخرى عنه عليه السلام "من زعم أن الله تعالى يبدو له في شيء بداء ندامة، فهو عندنا كافر بالله العظيم"، وفي الأخرى "ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له".^{٢٨}

فهذا البداء أحد من عقيدة الواجبة في الشيعة، في الإمامية خصوصاً. ولكن لم يعرف في أهل السنة والجماعة. هذه العقيدة تتعلق وتتكلم عن المحو والإثبات في قضاءه وقدره تعالى، كما فهمه السنيون. وكان منزلة البداء في التكوين كمنزلة النسخ في التشريع. النسخ في التشريع والبداء في التكوين، كما أن المحو والإثبات في التكوين عند أهل السنة والجماعة.^{٢٩}

^{٢٦} محمد حسين علي كاشف الغطاء، الدين والإسلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠ م)، ١٧٣.

^{٢٧} السيد محمد سلطان كلنتر، البداء عند الشيعة الإمامية، ١٩.

^{٢٨} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، (طهران: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الأعلام الإسلامي،

١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م)، ١١.

^{٢٩} السيد عبد الله السيد حسن الموسوي البحراني المحرقي، بحث حول البداء، ١٧.

ولقد أشار معلم الشيعة الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان البغدادي المشهور بالشيخ المفيد، أن النزاع والاختلاف بين السنيين والشيعة عن مسألة البداء يكون لفظيا وليس معنويا^{٣٠}، كما قال إنه ليس بينه وبين كافة المسلمين في هذا الباب خلاف. وإنما خالف من خالفهم في اللفظ دون ما سواه، وقد أوضح من علته في إطلاقه بما يقصر معه الكلام. وكل من خالفه فهو ينكره على ما وصفه من اللفظ دون المعنى.^{٣١} ويقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفقار بعد الإغناء، والإمراض بعد الإشفاء، والإماتة بعد الإحياء، وما يذهب إليه أهل العدل خاصة، من الزيادة في الآجال والأرزاق والنقصان منها بالأعمال.^{٣٢} وإن كان البداء لله بالمعنى المذكور المختلف بالبداء للخلق فهو ما يعتقد أهل السنة والجماعة عن الحو والإثبات.^{٣٣}

كما يتخذ بعض السنيين دليلا عن النسخ قطعة من سورة البقرة آية ١٠٦ (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)، فيتخذ الشيعة دليلا رئيسيا عن هذه العقيدة من سورة الرعد آية ٣٩ (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب). فيختلف الشيعة والسنيون في تفسير هذه الآية واستنباطها. فيستنبط الشيعة من هذه الآية أن تكون دليلا لثبوت عقيدة البداء لله تعالى. فلذلك، سمي هذه الآية آية البداء عند الشيعة. ويستنبط السنيون منها أن تكون دليلا لثبوت الحو والإثبات له تعالى. وغير ذلك، يوجد أيضا رواية كثيرة من الأحاديث الشريفة المروية من أئمتهم، مثل "ما عبد الله بشيء مثل

^{٣٠} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، ١٢.

^{٣١} أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان البغدادي، أوائل المقالات، ١٣٢.

^{٣٢} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، ٣٩.

^{٣٣} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، ١٣.

البداء"^{٣٤}، و"عن أبي عبد الله عليه السلام ما عظم الله مثل البداء"^{٣٥}، و"عن مرزوم بن حكيم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما تنبأ نبي قط حتى يقر الله بخمس خصال: بالبداء، والمشية، والسحود، والعبودية، والطاعة"^{٣٦}، و"عن الريان بن الصلت قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ما بعث نبي قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء"^{٣٧}، و"عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: إن الله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته، وأنبيائه، ورسله، فنحن نعلمه"^{٣٨}. وغير ذلك من الرويات المتنوعة عن هذه العقيدة المروية من أئمتهم ومن علماء السنين، منطوقا ومفهوما.

ب. التفسير عن آية البداء عند المفسرين الشيعة والسنين

كما ذكرنا في الماضي، أن للشيعة عقيدة رئيسية واجبة نسبت لذات الله جل وعلا. هذه العقيدة يسمى بالبداء، وهو ظهر لله من المشية ما هو مخفي على الناس.^{٣٩} ولكن، هذا البداء لله مختلف بالبداء للخلق، لأن البداء للخلق قد يكون مع ندامة فيه، وكان الخلق لم يعلم بما يقع من عواقبه بعد أن قُدر له. فالبداء بهذا المعنى باطل ومستحيل لذات الله جلا وعلا. لأنه سبحانه وتعالى عالم بما قدر من عواقبه، وليس له ندامة فيما قدر. سبحانه وتعالى عن ذلك.

^{٣٤} العلامة المحدث محمد بن يعقوب الكليني، الكافي ج. ١، ١٤٦.

^{٣٥} العلامة المحدث محمد بن يعقوب الكليني، الكافي ج. ١، ١٤٦.

^{٣٦} العلامة المحدث محمد بن يعقوب الكليني، الكافي ج. ١، ١٤٨.

^{٣٧} ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية ج. ٢، ١١٢٩.

^{٣٨} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، ١٣.

^{٣٩} محمد جواد البلاغي، مسألة في البداء، ٢٠.

فاتخذ الشيعة دليلا رئيسيا عن هذه العقيدة من الآية القرآنية، وهو من سورة الرعد آية ٣٩ (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)^{٤٠}. من هذه الآية الكريمة، فسرهما الشيعة بروايات واردة من النبي صلى الله عليه وسلم المروية من أئمتهم، وبرأيهم المأخوذ من مشايخهم وأئمتهم والمنسوب إليهم. ومن المفسرين الشيعة الذين صنفوا كتابا في التفسير منهم العلامة محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي بكتابه *التفسير المشهور بتفسير العياشي*، والعلامة أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي بكتابه *تفسير القمي*، وشيخ العلامة فضل بن حسن الطبرسي بكتابه *مجمع البيان*، وشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي بكتابه *نور الثقلين*، وملا فتح الله الكاشاني بكتابه *منهج الصادقين*، وأبو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي بكتابه *تفسير فرات الكوفي*، و السيد هاشم بحراني بكتابه *البرهان في تفسير القرآن*، ومحمد بن الحسن الحور العاملي بكتابه *تفسير الصافي*، والعلامة السيد حسين الطباطبائي بكتابه *الميزان في تفسير القرآن* وغيرهم.

ولكن، رد السنيون عن هذه العقيدة المضلة. ويحذرون على طوائفها حذرا شديدا وانتقادا جارحا منها، لأنها يجعل ذليلة دنيئة هنيئة غير لائقة لذات الله جل وعلا. ورأوا أن آية التي كانت اتخذها الشيعة دليلا لثبوت البداء خارجة من تفسيرها ومخالفة من إرادة الله تعالى في معناها، ولا يكون فيها التعلق، والإرتباط، والإتصال بالبداء لله جلا وعلا. بل، يدعون بأن الشيعة قد كذبوا في روايات المروية من أئمتهم المتعلقة بهذه العقيدة.^{٤١}

^{٤٠} السيد عبد الله السيد حسين الموسوي البحراني المحرقي، بحث حول البداء، ١١.

^{٤١} Tim Penulis Pustaka Sidogiri, *Mungkinkah Sunnah-Syiah Dalam Ukhuwah*, 276.

ولكن فسرهما بعض السنين في ثبوت المحو والإثبات لله جل وعلا. وفسرها بعضهم في التقدير المتغير. ومن المفسرين السنين الذين صنفوا كتابا في التفسير منهم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بكتابه جامع البيان في تأويل القرآن المشهور بتفسير الطبري، والإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر الخطيب بكتابه التفسير الكبير المشهور بتفسير الفخر الرازي أو مفاتيح الغيب، والشيخ القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي بكتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل المشهور بتفسير البيضاوي، والإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي بكتابه تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير، والعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي والشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي بكتابه تفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير الجلالين، والعلامة الشيخ محمد نواوي الجاوي بكتابه التفسير المنير لمعالم التنزيل المشهور بتفسير النواوي أو تفسير مراح لبيد، والعلامة الشيخ الأستاذ محمد علي الصابوني بكتابه صفوة التفاسير وغيرهم.

وفي هذه الرسالة العلمية، سنأخذ ثلاثا من كتب التفاسير من كل الفرقتين المذكورتين لتبيين وتوضيح لنا مالمрад بالمحو والإثبات في هذه الآية الكريمة، وما تفسيرها. وغير ذلك، لمنع لنا أن نكفر عن أية الفرقة، تعصبا لفرقتنا. فأما من كتب التفاسير للشيعة فنأخذ تفسيرها من تفسير القمي للعلامة علي بن إبراهيم القمي، وتفسير العياشي للعلامة العياشي، والميزان للعلامة الطباطبائي، ثم نحلل تلك التفاسير ونوفقها بما يستنبطه الشيعة من المحدثين، والمتكلمين، والمفسرين الآخرين. وأما من كتب التفاسير لأهل السنة والجماعة فنأخذ تفسيرها من تفسير الطبري للإمام ابن جرير الطبري، ومفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي، وصفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني، ثم نحلل تلك التفاسير أيضا ونوفقها بما يستنبطه السنين من المحدثين،

والمتكلمين، والمفسرين الآخرين. وبعد ذلك، فنرى معا نتيجة من تحليل هذه الآية الكريمة مع تفسيرها واستنباط من تفسيرها عند الشيعة والسنين من المفسرين، والمحدثين، والمتكلمين وغيرهم.

١. التفسير عن آية البدء عند المفسرين الشيعة والإستنباط منه عند الشيعة الآخرين

أ. تفسير القمي للعلامة علي بن إبراهيم القمي

هذا الكتاب صنفه العلامة القمي، وهو العلامة الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي. لم يعرف ولم يكتب حال ولادته ووفاته، ولكن قال بعض المؤرخين بأنه قد توفي سنة ٣٠٧ من الهجرة.^{٤٢} وكان من كبار المحدثين، والمفسرين، والفقهاء للشيعة في القرن الثالث من الهجرة. ويعيش في زمان الإمام علي الهادي والإمام حسن العسكري، ويصاحب بالإمام حسن العسكري، الإمام الحادي عشر في الإمامية. وكان الإمام ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني يروي كثيرا عنه، وهو يروي كثيرا عن أبيه إبراهيم بن هاشم، الذي كان من كبار الرجال في الحديث للشيعة الذي يسكن وينتشر الرواية بمدينة قم المقدسة، ويكون شيخ الأكبر لأهل قم. قال النجاشي عن القمي بأنه ثقة في رواية الحديث وله إيمان ثابت وعقيدة ومذهب سديد.^{٤٣}

يبدأ العلامة القمي في طلب العلم والرواية بأبيه، ثم بأخيه الكبير إسحاق بن إبراهيم بن هاشم القمي. ويستمر ذلك بالشيخ محمد بن عيسى، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وأيوب بن نوح، وأحمد إسحاق بن سعد، وأحمد بن محمد، وإسماعيل بن محمد الملكي وغيرهم. وله تلاميذ كثيرون الذين كانوا يروون الروايات منه، منهم ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، وعلي بن بابويه القمي، وقاسم بن محمد، وأحمد

^{٤٢} هاشم معروف حسن، بين التصوف والتشيع، (بيروت: دار المعارف، دون السنة)، ٣٧.

^{٤٣} أحمد بن علي النجاشي، أسماء المصنف الشيعة، (كربلا: جامعة مدرسين، ١٤١٦ هـ)، ٧٠.

بن زياد بن جعفر الحمادني، وحسن بن حمزة العلوي، ومحمد بن موسى بن متوكل وغيرهم. صنف القمي كتباً كثيرة، منها *نواذر القرآن*، و*ناسخ والمنسوخ*، و*قرب الإسناد*، و*الشرائع*، و*التوحيد* و*الشرك*، و*المغازي*، و*اختيار القرآن*، و*تفسير القمي* وغيرها.^{٤٤}

وكان أكبر مصنفاته *تفسير القمي*، وهو أهم الكتب من كتب التفاسير للشيعة. وكان يفسر الآيات القرآنية فيه برواية واردة. ويكون التأويل في تفسيره. فلذلك، يوجد كثير فيه آية يفسرها بفضائل أهل البيت، والأشعار من عدوهم، الذي كان معنا باطنياً لتلك الآية. وفي تفسيره يبحث عن المسائل في العقيدة، ويرد عن الفرق الباطلة. ويستعمل الآيات القرآنية لرد المذاهب المضلة، كعباد الأصنام، والزنادقة، والدهرية، والمعزلة، والقدرية وغيرها. وغير ذلك، يبحث فيه عن علوم القرآن، كالنسخ والمنسوخ، والحروف المقطعة، وآية المحكم والمتشبه وغيرها.^{٤٥}

فسر العلامة القمي عن سورة الرعد آية ٣٩ بحديث الذي كان يحدثه عن أبيه، وهو عن النضر بن سويد، وهو عن يحيى الحلبي، وهو عن عبد الله بن مسكان، وهو عن أبي عبد الله عليه السلام، وهو يقول: "إذا كانت ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتب إلى سماء الدنيا، فيكتبون ما يكون من قضاء الله تبارك وتعالى في تلك السنة، فإذا أراد الله أن يقدم أو يأخر أو ينقص شيئاً أو يزيده أمر الله أن يحول ما يشاء ثم أثبت الذي أراد".^{٤٦}

ب. تفسير العياشي للعلامة العياشي

^{٤٤} علي بن موسى سيد، سعد السعود، (قم: دون المطبعة، ١٣٦٣ هـ)، ١٧.

^{٤٥} محمد بن حسن الطوسي، الفهرست، (دون المدينة: نشر الفقاهات، ١٤١٧ هـ)، ٨٤.

^{٤٦} أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، ١، ٣٦٦.

هذا الكتاب صنفه العلامة العياشي، وهو المحدث الجليل أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي الكوفي، المعروف والمشهور بالعياشي، نسب من إسم جده.^{٤٧} وكان عالماً، وعالماً، وفقهياً، وأديباً، ومحدثاً، ومفسراً في الشيعة، ومن كبار الشيعيين. وكان أيضاً من المشايخ للإمام ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، وهو من كبار المشايخ في الشيعة. لم يعرف ولم يكتب حال ولادته، في أي مكان ولد، وفي أي زمان ولد.^{٤٨}

كان العياشي في الإبتداء سُنيّاً، ليس شيعياً، لأنه يعيش بسمرقند الذي كان فيه أهل السنة والجماعة يكون فرقة الأكثرية للمجتمع. ثم بعد أن يقرأ كتب الشيعة، فيميل إليها ويدخلها ويكون شيعياً. ترك والده بعد وفاته ٣٠٠.٠٠٠ ديناراً ورثة له. فيستعملها كلها في كتابة الكتب، وانتشار الأحاديث، والتعليم والتربية لطلابه الذين كانوا يطلب العلم إليه. وغير ذلك، كان كثير من القارئ، والمحدث، والمفسر، والعلماء في زمانه يزورون إليه لطلب العلم فيه.^{٤٩}

وكان يطلب العلم من أكثر المشايخ بالكوفة، والبغداد، وقم وغيره. وهو قد صنف كتباً كثيرة في العلوم والفنون المتنوعة، كما ذكر ابن ندیم في كتابه "الفهرست". منها تفسير العياشي، وهذا كتاب في التفسير، وله جزءين، الجزء الأول يشتمل من فاتحة الكتاب إلى سورة الكهف، والجزء الثاني من بقيتها، ولكن قد غاب، لا يعلم أحد عنه مكانه. ثم من كتبه الأخرى الطهارة، والصلاة، ومختصر الصلاة، ومختصر

^{٤٧} الشيخ عباس بن محمد رضا القمي، الكنى والألقاب، ٢٣٢.

^{٤٨} أحمد بن علي النجاشي، أسماء المصنف الشيعة، ١٢٦.

^{٤٩} محمد بن حسن الطوسي، تهذيب الأحكام، (طهران: دار الكتاب الإسلامية، ١٣٦٤ م)، ١٦٩.

الحیض، والجناز، والعالم والمتعلم، والأنبياء والأولياء، وسيرة الصحابة وغيرها. قد توفي سنة ٣٢٠ من الهجرة، ولم يكتب تاريخه مفصلاً.^{٥٠}

وكان من أكبر مصنفاته كتابه التفسير المشهور بتفسير العياشي. يكون هذا الكتاب من أحد المراجع في الشيعة. يستعمل العياشي فيه منهج التفسير بالرواية من الأحاديث النبوية المروية من الأئمة الأطهار. وليس فيه الآراء في تفسير الآية القرآنية، لأنه يكره التفسير بالرأي. وغير ذلك، يبحث فيه عن علوم القرآن، كالناسخ والمنسوخ، والآيات المحكمات والمتشبهات وغيرها.^{٥١}

فسر العياشي عن سورة الرعد آية ٣٩ بحديث الذي كان يحدثه عن علي بن عبد الله بن مروان، وهو عن أيوب بن نوح، وهو يقول: "قال لي أبو الحسن العسكري عليه السلام وأنا واقف بين يديه بالمدينة ابتداء من غير مسألة، يا أيوب، ما نبأ الله من نبي إلا بعد أن يأخذ عليه ثلاث خصال: شهادة أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد من دون الله، وأن لله المشيئة يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء". وغير ذلك، وهو يحدث حديثاً آخر تفسيراً لهذه الآية، وهو يرويه عن زرارة، وهو عن أبي جعفر عليه السلام وهو يقول: "كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: لو لا آية في كتاب الله لحدثكم بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة، فقلت له: آية آية؟، قال: قول الله (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)". والآخر عن حماد بن عيسى، وهو عن ربعي، وهو عن الفضيل بن يسار، وهو يقول: "العلم علمان، فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليها أحداً من خلقه، وعلم علمه ملائكته، ورسله، وأنبيائه. فأما ما علم ملائكته فإنه سيكون لا

^{٥٠} محمد بن حسن الطوسي، الفهرست، ٢٠٣.

^{٥١} الشيخ عباس بن محمد رضا القمي، سفينة البحار ج. ٢، (دون المدينة: مطبعة محمودي، دون السنة)، ٢٠٠١.

يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدم فيه ما يشاء، ويأخر ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء".

وقصّ العياشي قصة واحدة عن أبي جعفر وهو يقول: "ثم عرض الله على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم، قال: فمر آدم باسم داود النبي عليه السلام، فإذا عمره أربعون سنة، فقال: يارب، ما أقل عمر داود وأكثر عمري. يارب، إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة ينفذ ذلك له؟، قال: نعم يا آدم، قال: فإني قد زدته من عمري ثلاثين سنة، فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك وأطرحها من عمري، قال: فأثبت الله لداود من عمره ثلاثين سنة ولم يكن له عند الله مثبتا، ومحا من عمر آدم ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتا. فقال أبو جعفر عليه السلام: فذلك قول الله (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب). قال: فمحا الله ما كان عنده مثبتا لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتا. قال: فلما دنا عمر آدم هبط عليه ملك الموت ليقبض روح، فقال له آدم: يا ملك الموت، قد بقي من عمري ثلاثون، فقال له ملك الموت: ألم تجعلها لابنك داود النبي وأطرحتها من عمرك حيث عرض الله عليك أسماء الأنبياء من ذريتك وعرض عليك أعمارهم وأنت يومئذ بواد روحا؟، فقال آدم: يا ملك الموت، ما أذكر هذا؟، فقال ملك الموت: يا آدم، لا تجهل! ألم تسأل الله أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك، فأثبتها لداود في الزبور، ومحاهها من عمرك من ذكر؟. قال: فقال آدم: فأحضر الكتاب

حتى أعلم ذلك. قال أبو جعفر: وكان آدم صادقاً ولم يذكر". فمن ذلك اليوم أمر الله العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعملوا إلى أجل مسمى، لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه.^{٥٢}

ت. الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد حسين الطباطبائي

هذا الكتاب صنفه العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. وهو العلامة وشيخ المشايخ في القرن ٢٠ من الهجرة. ولد بتبريز ٢٩ ذوالحجة ١٣٢١ هـ الموافق ١٩٠١ م. وقد اشتهرت أسرته منذ القدم بالفضل والعلم والرياسة، توفيت والدته وكان عمره خمس سنوات، وتوفي والده عندما بلغ التاسعة من عمره. عند بلوغ التاسعة من عمره ذهب الى المدارس لتعلم القراءة، والكتابة، والقرآن الكريم، والكتب الفارسية المتعارف عليها في ذلك الوقت، كما تعلم فن الخط عند الأستاذ الميرزا علي النقي. بعد ذلك، درس اللغة العربية والأدب العربي. في سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ١٩٢٤ م، هاجر الى النجف الأشرف لإكمال دراسته الحوزوية ويسكن هناك ١١ سنة بحضور دروس الفقه والأصول عند العلماء الكبار فيه، كآية الله الميرزا محمد حسين النائيني، والسيد أبي الحسن محمد حسين الأصفهاني، والشيخ محمد حسن الكمباني وغيرهم. وكان لم يكتف بدراسة الفقه والأصول، ثم يستمر دراسته في العلوم الأخرى، كعلم الرجال، والفلسفة، والعرفان، والأخلاق، والرياضيات، والحساب وغيرها.

وله مشايخ كثيرون في أنواع العلوم والفنون، منها آية الله الميرزا الشيخ محمد حسين النائيني، والشيخ محمد حسن الكمباني، والسيد حسين البادكوبي، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والميرزا علي القاضي

^{٥٢} المحدث الجليل أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، التفسير، (طهران: المكتبة العلمية الإسلامية، دون السنة)، ٢١٥-٢٢٠.

الطباطبائي، والشيخ الكوهكمري، والسيد أبو القاسم الخونساري، والميرزا علي الأيرواني، والشيخ علي أصغر الملكي، السيد حسين البادكوبتي، وآية الله الميرزا علي الأيرواني وغيرهم. وغير ذلك، يتعلم منه كثير من طلاب العلم الذين كانوا من العلماء، كالشهيد مرتضى المطهري، والشهيد السيد محمد حسين الحسيني البهشتي، والشهيد الشيخ محمد المفتاح الهمداني، والشهيد الشيخ علي القدوس، والشهيد السيد محمد رضا السعدي، وآية الله الشيخ عبد الله الجواد الآملي، والأستاذ الشيخ محمد تقي مصباح البزدي، وآية الله مكارم الشيرازي، والشهيد السيد مصطفى الخميني، والسيد عبد الكريم الموسوي الأردبيلي، والشيخ إسماعيل الصالح المازندراني، والسيد محمد باقر الموحّد الأبطحي، والشيخ حسين الراستي الكاشاني، والشيخ حسن زادة الآملي، والشيخ محمد الإمامي الكاشاني، والشيخ محمد الفاضل اللنكراني، والشيخ حسين النوري الهمداني، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي، والشيخ مرتضى المقتدائي، والشيخ جعفر السبحاني وغيرهم.

كان العلامة الطباطبائي صنف كتباً ورسائل كثيرة من أنواع العلوم والفنون، ويذكر أن مؤلفاته أكثر من خمسين الموضوعات، منها تفسير الميزان، ورسالة في المبدأ والمعاد، وحاشية على كفاية الأصول، وأصول الفلسفة المادية، وسنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والشريعة في الإسلام، والقرآن في الإسلام، وبداية الحكمة، ونهاية الحكمة، ورسالة في العشق، وأصول العقائد، وحاشية على كتاب الأسفار لملا صدرا، ورسالة في الحكومة الإسلامية، ورسالة في القوة والفعل، ورسالة في الوسائط، وتعليق على كتاب أصول الكافي، ورسالة في الصفات، ورسالة في الأفعال، ورسالة في النبوة، ورسالة في الولاية، ورسالة في المشتقات، ورسالة في البرهان، ورسالة في المغالطة، وعلي والفلسفة الإلهية، وحاشية على كتاب المطالب للشيخ الأنصاري، ونظرية السياسة والحاكم في الإسلام، ورسالة في علم النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام بالغيب، وتعليق على بعض مجلدات بحار الأنوار. وكان له عشرات المقالات المنشورة في المجالات العلمية المختلفة

وكثيرة من التقارير والمقدمات المكتوبة لبعض الكتب المعروفة، كالمراقبات، وتفسير العياشي، ووسائل الشيعة، وله كذلك خمسون مخطوطة في مكتبته الخاصة موجودة الآن عند ورثته.

توفي العلامة الطباطبائي بتاريخ ٢٨ محرم ١٤٠٢ من الهجرة، بعد أن قضى ثمانين سنة في خدمة العلوم الإسلامية بصورة عامة، وعلوم شيعة آل البيت عليهم السلام بصورة خاصة. ودفن بجوار مرقد السيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام في مدينة قم المقدسة.^{٥٣}

كان من أكبر مصنفاته الميزان في تفسير القرآن، وله عشرون مجلدات. يستعمل العلامة الطباطبائي فيه بأسلوب التحليلي، وهو أسلوب تتبع فيه المفسر الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها، وأسباب نزولها، وأحكامها، ومعناها ونحو ذلك. ويفسر فيه الآيات القرآنية بالتفسير بالمأثور أو الرواية من الآيات القرآنية الأخرى.^{٥٤} وكان يفسر الآية القرآنية، ثم يستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن. قال العلامة الطباطبائي بأن يعرف القرآن نفسه أنه تبيان لكل شيء، فكيف يمكن يبين معناه ومقصوده تبيان آخر ؟. والمراجع للعلامة الطباطبائي في تصنيف هذا التفسير مأخوذة من مفاتيح الغيب، ومجمع البيان، وتفسير ابن عباس، والكشاف، وتفسير الطبري، وتفسير البضاوي، وتفسير أبو السعود، والدر المنثور، وروح المعاني، والجواهر، والمنار، والبرهان، والصابي، وتفسير النعماني، وتفسير القمي، ونور الثقلين، وبعض كتب اللغة، كالمصباح المنير، وقاموس اللغة، ولسان العرب، والمظهر في علوم اللغة وغيرها. وليس هذا الكتاب يُتَعَلَّم ويُدْرَس في حلق الشيعة ومدارسهم ومجالسهم

^{٥٣} آية الله جوادي العاملي، شمس الوحي التبريزي، (قم: نشر الإسرائ، ١٤٠٧ هـ)، ٩٦.

^{٥٤} الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ٥٧.

وحوازيهم قط، بل يُقبل ويتعلم ويدرس في حلق السنين ومدارسهم ومجالسهم. فلذلك، يكون هذا الكتاب من الكتاب المتواسط بين الفرقتين العظيمتين.^{٥٥}

قال العلامة الطباطبائي في التفسير عن سورة الرعد آية ٣٩ بقوله (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)، محو الشيء هو إذهاب رسمه وأثره، يقال: محوت الكتاب إذا أذهبت ما فيه من الخطوط والرسوم، كما قال تعالى (ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته)، أي يذهب بآثر الباطل. وقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة)، أي أذهبنا أثر الإبصار من الليل.

فالحو قريب المعنى من النسخ، كما يقال: نسخت الشمس الظل، أي ذهبت بآثره ورسمه. وقد قوبل الحو في الآية بالإثبات، وهو إقرار الشيء في مستقره بحيث لا يتحرك ولا يضطرب، كما قيل: أثبت التود في الأرض إذا ركزته فيها بحيث لا يتحرك ولا يخرج من مركزه، فالحو هو إزالة الشيء بعد ثبوته برسمه ويكثر استعماله في الكتاب.

ووقع قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) في هذه الآية بعد قوله (لكل أجل كتاب)، ويتصل بعده بقوله (وعنده أم الكتاب)، أشار تعالى في تلك الآية أن المراد بمحو الكتب وإثباتها في الأوقات والآجال. فالكتاب الذي أثبته الله في الأجل الأول إن شاء محاه في الأجل الثاني وأثبت كتابا آخر فلا يزال يمحي كتاب ويثبت كتاب آخر. ويدعون العلامة الطباطبائي باعتبار ما في الكتاب أن قد صح أن يقال: لا يزال يمحو آية ويثبت آية، كما أشاره الله جل وعلا بقوله (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)، وفي الآخر (وإذا بدلنا آية مكان آية).

^{٥٥} آية الله محمد هادي معرفة، تفسير ومفسرون، (قم: نشر تمهيد، ١٤٠٦ هـ)، ٤٩٧.

وفسر الطباطبائي لفظ الحو والإثبات بثلاثة الأقوال، وهي الأول إن حكم الحو والإثبات عام لجميع الحوادث التي تداخله الآجال والأوقات، وهو جميع ما في السماوات والأرض وما بينهما، كما قال تعالى (ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى). والثاني أن الله سبحانه وتعالى في كل شيء قضاء ثابتا لا يتغير. والثالث إن القضاء ينقسم إلى قضاء متغير وغير متغير.

وغير ذلك، فسر العلامة الطباطبائي هذه الآية بروايات متعددة المنقولة من الكتب القديمة، منها كروية أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس، وهو يقول: "إن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) فقال: ذلك كل ليلة القدر يرفع ويخفض ويرزق غير الحياة، والموت، والشقاوة، والسعادة، فإن ذلك لا يزول". وعن ابن عمر، وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الشقاوة، والسعادة، والحياة، والموت". وغير ذلك من الروايات المذكورة في الكتب الأخرى.

والروايات في البداء متكاثرة مستفيضة، ومنها يستفاد أن كل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يضعه، وليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل. والرواية كما ذكر تنفي البداء بمعنى علمه تعالى ثانيا بما كان جاهلا به أولا، وهو بمعنى تغيير علمه في ذاته كما ربما يتفق فينا، تعالى الله عن ذلك. وإنما هو ظهور أمر منه تعالى ثانيا بعد ما كان الظاهر منه خلافه أولا، فهو محو الأول وإثبات الثاني، والله سبحانه وتعالى عالم بهما جميعا.^{٥٦}

ث. الإستنباط من تلك التفاسير عند الشيعة الآخرين

^{٥٦} العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ج. ١١، (بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م)، ٣٧٧-٣٨٠.

كان جميع الشيعيين من المفسرين، والمحدثين، والمتكلمين وغيرهم يتفقون أن يطلقوا لفظة الحو والإثبات من سورة الرعد آية ٣٩ بكلمة البداء عقيدة لهم. ويستدلون هذه العقيدة البداء من تلك الآية الكريمة. ويؤكدها الشيعيون برويات كثيرة مأخوذة عن أئمتهم وعلماءهم، مثل جعفر الصادق، وأبي عبد الله، والحسن العسكري، والمجلسي "صاحب بحار الأنوار" وغيرهم عليهم السلام، ومن غيرهم، مثل عمر بن الخطاب، وابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد وغيرهم رضوان الله عليهم. وكانوا يستقرون بأن البداء مشابه بالنسخ عند السنيين. والفرق بينهما أن النسخ يكون في التشريع، وأما البداء يكون في التكوين.^{٥٧}

٢. التفسير عن آية البداء عند المفسرين السنيين والإستنباط منه عند السنيين الآخرين

أ. تفسير الطبري للإمام ابن جرير الطبري

كان هذا الكتاب المسمى بجامع البيان في تأويل القرآن، إشتهر بتفسير الطبري. صنفه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري. كان هو إماما، وعالما، ومفسرا، ومؤرخا، ومجتهدا، وثقة، وحافظا، وقارئا، ومن كبار العلماء في زمانه. ولد بطبرستان سنة ٨٣٨ م، وتوفي سنة ٣١٠ هـ الموافق ٩٢٣ م. يبدأ في رحلة علميته حول سنة ٢٤٠ من الهجرة إلى العباس بن الوليد في قراءة القرآن، ثم يستمرها إلى مدينة المنورة، ومصر، وري، وخراسان، والبغداد، ويسكن هناك.^{٥٨}

وصنف كثيرة من المصنفات، وأكبرها جامع البيان في تأويل القرآن المشهور بتفسير الطبري في التفسير، وتاريخ الأمم والملوك في التاريخ. كان في تصنيف كتاب التفسير، صنفه في سبعة سنوات، وهي من سنة ٢٨٣ هـ إلى ٢٩٠ هـ بالإملاء إلى تلميذه. وكثير من العلماء يقدمون كلمة المدح والثناء إلى تفسيره،

^{٥٧} السيد عبد الله السيد حسن الموسوي البحراني المحرقي، بحث حول البداء، ١٧.

⁵⁸ Dewan Redaksi Departemen Agama, *Ensiklopedi Islam*, (Jakarta: Anda Utama, 1993), 1125.

منهم أبو بكر بن خزيمة، وأبو سعيد بن يونس، والخطيب البغدادي، والإمام السيوطي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، الحافظ ابن كثير، والإمام الذهبي وغيرهم. وقيل بأن هذا التفسير أعظم الكتب في التفسير وأكملها طول الزمان. يستعمل الطبري في كتابه هذا التفسير بالمأثور أو بالرواية المنقولة من الآيات القرآنية الأخرى، ومن الأحاديث النبوية، والرواية من الصحابة، والتابعين، وتابع التابعين. وغير ذلك، يشرح فيه كل ما يتعلق بتفسير الآيات القرآنية، من سبب نزولها، وأحكامها، والقراءة فيها وغيرها.^{٥٩}

فسر الإمام الطبري عن هذه الآية بقوله إن أهل التأويل يختلف في تأويل هذه الآية، وبعضهم يقولون إن محو الله على ما يشاء من أمور عبادته، فيمحوه ويغيره إلا الشقاء والسعادة، فإنهما لا يغيران. وهذا القول يأكده روايات كثيرة عن ابن عباس وغيره، منها قال ابن عباس في قوله تعالى (يُمحُو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب): يدبر الله أمر العباد، فيمحو ما يشاء إلا الشقاء، والسعادو، والحياة، والموت. وقال فيه: "كل شيء غير السعادة والشقاء، فإنهما قد فرغ منهما". وقال مجاهد فيه: "إلا الحياة، والموت، والسعادة، والشقاوة، فإنهما لا يتغيران".

وقال الآخرون إن معنى ذلك أن الله يمحو ما يشاء ويثبت من كتاب سوى أم الكتاب الذي لا يغير منه شيء. وهذا القول يأكده أيضا روايات كثيرة عن عكرمة، منها كما قال في قوله تعالى (يُمحُو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب): الكتاب كتابان، كتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وأم الكتاب الذي كان عنده تعالى.

^{٥٩} محمد بكر إسماعيل، ابن جرير ومنهجه في التفسير، (القاهرة: دار المنار، ١٩٩١ م)، ٩.

وقال الآخرون، بل معنى ذلك أنه يمحو كل ما يشاء، ويثبت كل ما أراد. وهذا يؤكد أيضا روايات، منها كما قال الشقيق في دعائه: "اللهم إن كنت كتبتنا أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب". وقال أبو وائل في دعائه مثل دعاء الشقيق. وروي أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت ويكي: "اللهم إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة". وقال عمر في دعاء آخر وكان يطوف بالكعبة: "اللهم إن كنت كتبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبت علي الذنب والشقوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب". وقال ابن عباس في قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب): "كان رجل يعمل طول الزمان بطاعة الله، ثم يعترض لمعصية الله، فيموت على ضلاله، فهو الذي يمحو. والذي يثبت: كان ذلك رجل يعمل بمعصية الله، وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله، فهو الذي يثبت". وفي رواية أخرى أن كعبا قال لعمر رحمة الله عليهما: "يا أمير المؤمنين، لو لا آية في كتاب الله لأنبأتك ما هو كائن إلى يوم القيامة. فقال عمر: وما هي؟، قال: قول الله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)". وقال الضحاك فيه: "ينسخ الله ما شاء، وأصنع من الأفعال ما شاء، وإن شاء زاد فيها، وإن شاء نقص".

وقال الآخرون إن معنى ذلك أن الله ينسخ ما يشاء من أحكام كتابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه. وهذا يؤكد أيضا روايات متعددة، منها كما قال ابن عباس في قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت): "وهو من القرآن. يبدل الله ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله. وفي قوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب، النسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت، كل ذلك في

الكتاب". وقال قتادة فيه إنه مثل قوله (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها). وقال ابن جريج فيه: "إن معنى لفظ يمحو الله ما يشاء وهو ينسخ ما يشاء".

ثم وقال الآخرون إن معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله، ويثبت من لم يحن إلى أجله. وهذا القول يأكده رواية عن الحسن، وهو يقول في قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب): "يمحو من جاء أجله فذهب، والمثبت الذي هو حي يجري إلى أجله". وقال الحسن: (يمحو الله ما يشاء) بمعنى من جاء أجله، و(ويثبت) بمعنى من لم يحن إلى أجله".

وقال الآخرون إن معنى ذلك أنه يغفر ما يشاء من ذنوب عباده، ويترك ما يشاء فلا يغفر. ويؤكد هذا القول الرواية عن سعيد، وهو يقول في قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب): "يثبت في البطن الشقاء، والسعادة، وكل شيء، فيغفر منه ما يشاء، ويأخر ما يشاء".^{٦٠}

ب. تفسير مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي

لهذا الكتاب أسماء كثيرة مشهورة، منها تفسير مفاتيح الغيب، وتفسير الفخر الرازي، وتفسير الكبير وغيرها. صنفه الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري القرشي الرازي الشافعي الأشعري، المشهور بالإمام فخر الرازي. ولد بمدينة ري-طهران، التي تكون الآن عاصمة من إيران، بتاريخ ٢٥ رمضان ٥٤٣ من الهجرة، وتوفي سنة ٦٠٦ من الهجرة، وقيل سنة ٦٠٤ من الهجرة. كان والده من كبار العلماء المشهورين في زمانه، ومشهور بشيخ الإمام ضياء الدين الخطيب الري.

^{٦٠} أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ج. ٧، (بيروت: دار الكتب العلمية،

وهو علامة في علم الكلام، والتفسير، والأصول، والمنطق، والفلسفة. يبدأ في رحلة علميته من والده حتى توفي. ثم يستمرها إلى بعض العلماء بمدينة ري، منهم الشيخ محمد الدين الجيلي. وله السند العلمية في الكلامية من والده، وهو من أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري، وهو من إمام الحرمين أبي معالي الجويني، وهو من الشيخ أبي الحسين الباهلي، وهو من شيخ أهل السنة والجماعة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. وأما السند العلمية في الفقهية من والده أيضا، وهو من أبي محمد الحسين بن مسعود، وهو من القاضي حسين المروزي، وهو من القفال المروزي، وهو من أبي يزيد المروزي، وهو من علي أبي عباس بن رباح، وهو من أبي القاسم الأنماطي، وهو من أبي إبراهيم المزاني، وهو من الإمام الشافعي. وله تلاميذ كثيرون الذين كانوا من كبار العلماء، منهم زين الدين الكشي، والقطب المصري، وشهاب الدين النيسابوري وغيرهم.

كان الرازي صنف كثيرة من المصنفات، منها تفسير الكبير المشهور بمفاتيح الغيب، وتفسير الصغير المشهور بأسرار التنزيل وأنوار التأويل، وتفسير الفاتحة، ونهاية العقول، والمحصل في علم أصول الفقه، ولباب الإشارات، والمطالب العالية في الحكمة، وتنبيه الإشارة في الأصول، والأربعين في أصول الدين، وسراج القلوب، وشرح الإشارة، ومناقب الإمام الشافعي، والطريقة في الجدل وغيرها، وقيل كان مصنفاته أكثر من ثمانين مصنفات. ومن أكبر مصنفاته تفسير الكبير المشهور بمفاتيح الغيب. يستعمل الرازي فيه بأسلوب التحليلي، وهو أسلوب تتبع فيه المفسر الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها، ووجوه البلاغة فيها،

وأَسباب نزولها، وأحكامها، ومعناها ونحو ذلك.^{٦١} ويفسر فيه الآيات القرآنية بالتفسير بالرأي أو الدراية المأخوذة من العلوم الإسلامية المتعلقة بتفسير تلك الآيات.

فسر الرازي هذه الآية الكريمة بقوله: فالمعنى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) أنه يوجد تارة ويعدم أخرى، ويحيي تارة ويميت أخرى، وتغني تارة ويفقر أخرى، فكذلك أن يشرع الحكم تارة ثم ينسخه تارة بحسب ما اقتضته المشيئة الإلهية عند أهل السنة، أو بحسب ما اقتضته رعاية المصالح عند المعتزلة. فهذا إتمام التحقيق في تفسير هذه الآية.

ورأى الرازي أن من هذه الآية الكريمة يأخذ مسائل، منها أن في هذه الآية قولان: القول الأول إنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ. قالوا: "إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه". وكذا القول في الأجل، والسعادة، والشقاوة، والإيمان، والكفر، وهو مذهب عمر وابن مسعود. والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى في أن يجعلهم سعداء لا أشقياء، وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والقول الثاني إن هذه الآية خاصة في بعض الأشقياء دون البعض. وعلى هذا التقرير ففي الآية وجوه: الأول: المراد من المحو والإثبات هو نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر بدلا عن الأول. الثاني: أنه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة، لأنهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل ويثبت غيره. والثالث: أنه تعالى أراد بالمحو أن من أذنب أثبت ذلك الذنب في ديوانه، فإذا تاب عنه محى من ديوانه. والرابع: أن المعنى من (يمحو الله ما يشاء) هو من جاء أجله، ويدع من لم يجيء أجله ويثبته. والخامس: أنه

^{٦١} الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ٥٧.

تعالى يثبت في أول السنة حكم تلك السنة. فإذا مضت السنة محيت، وأثبت كتابا آخر للمستقبل. والسادس: أنه تعالى يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس. والسابع: أنه تعالى يمحو الدنيا ويثبت الآخرة. والثامن: أن معنى هذه الآية في الأرزاق، والحن، والمصائب يثبتها في الكتاب ثم يزيلها بالدعاء والصدقة. والتاسع: أن معناها تغير أحوال العبد فما مضى منها فهو المحو، وما حصل وحضر فهو الإثبات. والعاشر: يزيل ما يشاء ويثبت ما يشاء من حكمه لا يطلع على غيبه أحدا فهو المنفرد بالحكم كما شاء، وهو المستقل بالإيجاد، والإعدام، والإحياء، والإماتة، والإغناء، والإفقار بحيث لا يطلع على تلك الغيوب أحد من خلقه. ومن هنا رد الرازي بعقيدة البداء بقوله إن هذه العقيدة وإستدلها بهذه الآية باطل، لأن علم الله من لوازم ذاته المخصوصة.^{٦٢}

ت. صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني

إن هذا الكتاب صنفه العلامة الشيخ الأستاذ محمد علي بن جميل الصابوني. وهو كان شيخا، وعلامة، ومفسرا مشهورا بتبحر وتعمق علومه، وهو سني أشعري عقيدة. وكان أيضا أستاذا بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الملك عبد العزيز مكة المكرمة. ولد بالشام سنة ١٣٤٧ هـ الموافق ١٩٢٨ م، وهناك أيضا بدأ في رحلة علميته، ثم يستمرها بمصر، ويكمل الماجستير له بالجامعة الأزهر الشريف وتخرج منها سنة ١٩٥٤ م.

وكان له مصنفات كثيرة، فضلا في تفسير القرآن وعلومه، منها صفوة التفاسير، ومختصر تفسير ابن كثير، ومختصر تفسير الطبري، والتبيان في علوم القرآن، والمواريث في الشريعة الإسلامية على ضوء الكتاب،

^{٦٢} الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الخطيب، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومهاتيح

الغيب ج. ١٩، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م)، ٦٤-٦٧.

وروائع البيان وغيرها. ومن أكبر مصنفاته *صفوة التفاسير*، وهو كتاب التفسير المعاصر، صنفه الصابوني مدة خمسة سنوات من سنة ١٤٠٠ من الهجرة. وكثير من العلماء يقدّمون كلمة المدح والثناء إلى تفسيره، منهم الشيخ عبد الحليم محمود، وأبو الحسن علي الحسيني الندوي، والدكتور عبد الله عمر نصيف، والدكتور راشد بن راجح، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبد الله خياط وغيرهم.

إن في تفسير الآيات القرآنية فيه يستعمل الصابوني بأسلوب الإجمالي، وهو أسلوب يعتمد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب ترتيب المصحف، فبين معاني الجمل فيها متتبعا ما ترمي إليه الجمل من أهداف ويصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه ليسهل فهمها وتوضح مقاصدها للقارئ والمستمع. ثم يبحث الصابوني عن المناسبة بين الآية والآية الأخرى، ويشرحها من وجوه اللغوية، ومن سبب نزولها، ومن بلاغتها، ومن تضمنها والحكم فيها والاستنباط منها.^{٦٣}

فسر الصابوني هذه الآية الكريمة بقوله ينسخ الله ما يشاء نسخة من الشرائع، والأحكام، وصحف الملائكة الكرام، ويثبت ما يشاء منها دون تغيير. ونقل الصابوني قول ابن عباس ومجاهد بأنّ يبدل الله ما يشاء فينسخه إلا الموت، والحياة، والشقاء، والسعادة، فإنه قد فرغ منها. وقيل إن الحو والإثبات عام في جميع الأشياء لما روي أن عمر بن الخطاب يطوف بالبيت ويكي ويقول: "اللهم إن كنت كتبت عليّ شقوة أو ذنبا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة".^{٦٤}

ث. الإستنباط من تلك التفاسير عند السنين الآخرين

^{٦٣} الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ٥٩.

^{٦٤} محمد علي الصابوني، *صفوة التفاسير* ج. ٢، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م)، ٨٠.

من تلك التفاسير الثلاثة، فنرى أن السنين إختلفوا عن معنى كلمة الحو والإثبات في هذه الآية الكريمة، الذي كان لم تناف صفة الحو والإثبات لله تعالى. بعضهم يرون أن الحو والإثبات لله تعالى يكون في كل الأشياء والأمور للخلق من الآجال، والأرزاق، والأحكام الشرعية وغيرها. وأما بعضهم آخر يرون أن الحو والإثبات له تعالى يكون في بعض الأمور، وهو سوى الموت، والحياة، والسعادة، والشقاوة. وبعضهم آخر يرون أن لله كتابان، كتابا في الحو والإثبات، وكتابا الذي كان عنده، سمي بأم الكتاب، الذي ليس له التغير فيه. ورأوا بعضهم آخر أن معنى الحو والإثبات في هذه الآية يكون في نسخ الأحكام، كما ذكر في آية أخرى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها). والآخر يرون أن معناه بالمغفرة من الله سبحانه وتعالى، وهو يغفر ذنوب عباده المؤمنين، فيكون الحو، ولم يغفر ذنوب الكافرين والمشركين، فيكون الإثبات، وغير ذلك من الآراء عند السنين.^{٦٥} ولكن، ليس أحد من السنين يدعون بالبداء. بل، هذه اللفظة لم تعرف عند أهل السنة والجماعة.^{٦٦}

وكان السنيون، من الفسرين، والمحدثين، والمتكلمين، وغيرهم يرون أن البداء الذي كان نسب لذات الله جل وعلا صفة ذليلة دنيئة هنيئة غير لائقة لذاته تعالى. بل، كانوا يحذرون حذرا شديدا وانتقادا جارحا لطوائف أهل السنة والجماعة بأن من يقول "إن لله البداء" فهو قد أصغر وأهان لذات الله سبحانه وتعالى، لأن ذلك القول مشبه لله تعالى بصفة الخلق^{٦٧}، والعياذ بالله.

^{٦٥} أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ج. ٧، ٣٩٩-٤٠٥. وأنظر أيضا إلى الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر الخطيب، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومهاتج الغيب ج. ١٩، ٦٤-٦٧.

^{٦٦} الشيخ حسن عبد الساتر، نظرية البداء: محاولة جديدة لفهمها، ١٢.

^{٦٧} عثمان بن محمد الخميس، شبهات الشيعة والرد عليها، ٧٥.

٣. النتيجة الأخيرة فى عقيدة الشيعة عن هذه المسألة

كان جميع الشيعة من المفسرين، والمحدثين، والمتكلمين وغيرهم يتفقون بثبوت البداء لله تعالى عقيدة لهم. ويستدلون عن هذه العقيدة من سورة الرعد آية ٣٩. وغير ذلك، قد اتفقوا بأن الله سبحانه وتعالى عالم بالأشياء والحوادث كلها غايرها، وحاضرها، ومستقبلها، لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء، كما أشار تعالى بذلك فى الآيات القرآنية المتكاثرة. وإن الله علم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه، ونور لا ظلمة فيه، كما أشاره الأئمة الأطهار بقولهم.^{٦٨} ومن هنا، ثبت البداء لله جل وعلا، كان له تعالى البداء بمعنى المجاز. ولكن البداء له تعالى مختلف بالبداء للخلق، لأن البداء للخلق يكون بعد الخفاء والجهل، وهذا البداء بمعنى الحقيقة، وذلك محال لذات الله جل وعلا، سبحانه وتعالى عنه. وهم يتبرؤون من هذا المعنى ومن القائل بهذا المعنى. كان البداء بهذا المعنى باطل، ولا يصح إذا كان نسب لذات الله. وهكذا قد اختلف السنيون فى معنى البداء لله. يظنون أن البداء لله مساوي للبداء للمخلوق فى المعنى، كما فهم الرازي والبلخي فى تفسيرهما. وهذا ناشئ لعدم معرفتهم فى البداء عن جهة المعنى لله جل وعلا.^{٦٩}

ولكن، إدعى الشيعة أن الأكثرية من طوائف الشيعة كان لهم مفهوم يمثل مفهوم السنيين، لتفسير الإطلاق بالتسمية فى هذه العقيدة. كما قال الدكتور موسى المساوي، وهو من علماء الشيعة المعاصرين: "مفهوم البداء غامض عند الأكثرية الساحقة من أبناء الشيعة الإمامية، بل لا يعرفون شيئاً عن فحواها، وحتى إذا ما سألتهم عن معنى الكلمة فهم يحIRON جواباً. ولكن مع كل هذا، وهو من دواعي الحزن العميق فيما وصلت إليه حال هذه الأمة بفضل زعاماتها المذهبية، أن هناك عشرات الآلاف من الشيعة، وإن شئت

^{٦٨} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء فى ضوء الكتاب والسنة، ١٥.

^{٦٩} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء فى ضوء الكتاب والسنة، ١٤.

فقل مئات الآلاف منهم يكررون الجملة الآتية: (السلام عليكما يا من بدا الله في شأنكما). وذلك عندما يدخلون إلى مرقد الإمامين العسكريين في سر من رأى^{٧٠} على الإمامين العاشر والحادي عشر عند الشيعة. إن الشيعة تردد هذه العبارات كلما دخلت في صورة آحاد أو جماعات إلى مرقد الإمامين علي النقي والحسن العسكري وهي لا تعرف معنى البداء ولا الجملة القائلة (يا من بدا الله في شأنكما)^{٧١}.

وبعد ذلك، رأى المساوي أن سبب إطلاق هذه اللفظة يكون في وقعة الإمام جعفر الصادق وابنه إسماعيل بن جعفر، الذي كان توفي قبل أبيه، ثم أوصى الإمام جعفر الصادق إلى ابنه الآخر الإمام موسى الكاظم، وهو الأخ الصغير لإسماعيل. ومن هذه الوقعة، بطلت القاعدة التي كانت في ورثة الإمامة من الوالد إلى ابنه الكبير، ويولد المسائل في تثبيت الإمام، فلذلك، لمنع الخلاف في الفهم عن هذه القاعدة، فقدم الشيعة هذه اللفظة في استعمالها لهذه العقيدة، التي كانت أن الله إرادة ومشئته في الحو والإثبات عن كل شيء، منها تثبيت الإمام للشيعة.^{٧٢}

ولكن، لو كان البداء مشهورا بنسبته للخلق، فالبداء لله مختلف به للخلق. أما البداء بمعنى المشهور المنسوب للخلق فهذا مستحيل نسبته لله جل وعلا. كما قاله الطوسي: "إذا أضيفت هذه اللفظة إلى الله تعالى فممنه ما يجوز إطلاقه ومنه ما لا يجوز. وأما ما يجوز إطلاقه فهو ما أفاد النسخ بعينه، ويكون إطلاق ذلك عليه ضربا من التوسع، وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصادقين عليهما السلام من الأخبار المتضمنة إضافة البداء إلى الله دون ما لا تجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن. ويكون وجه إطلاق

^{٧٠} إسم لمكان في المرقد للإمام علي النقي والإمام حسن العسكري

^{٧١} الدكتور موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح، ١٤٧.

^{٧٢} Quraish Shihab, *Sunnah-Syiah Bergandengan Tangan! Mungkinkah ?*, 172.

ذلك فيه تعالى هو أنه إذا كان ما يدل على النسخ يظهر به للمكلفين ما لم يكن ظاهراً لهم ويحصل لهم العلم بعد أن لم يكن حاصلًا لهم أطلق على ذلك بلفظ البداء".^{٧٣}

وهذا القول للطوسي يؤكد بقول المظفر في كتابه: "البداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى لأنه من الجهل والنقص، وذلك محال عليه تعالى ولا تقول به الإمامية. غير أنه ورد عن أئمتنا الأطهار روايات توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدم. كما ورد عن الصادق عليه السلام: ما بدا الله في شيء كما بدا له في اسماعيل. ولذلك، نسب بعض المؤلفين في الفرق الإسلامية إلى الطائفة الإمامية القول بالبداء طعنا في المذهب. والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب). ومعنى ذلك أنه تعالى قد يظهر شيئاً على لسان نبيه أو وليه أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الإظهار، ثم يحويه فيكون غير ما ظهر أولاً مع سبق علمه تعالى بذلك. وقريب من البداء في هذا المعنى نسخ الأحكام الشرائع السابقة بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم، بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وسلم".^{٧٤} ومثل ذلك قاله الطوسي في تفسيره البيان كما نقله السبحاني أن الشيعة يطرحون بهذا المعنى (أن الله يبطل مشيئته لجهله من قبله). وهذا باطل وكذب لهم.^{٧٥}

ورأى السبحاني أن الإنسان له استطاعة لتأثير نفسه. وهو يستطيع أن يغير تقديره إلى تقدير آخر بعون الله وبإذنه، كما أشاره في الكتاب المبين: "(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)".^{٧٦} كان الإستغفار يأتى بنزول المطر، وكثرة الأموال، وسيل النهر. وكان الصلة تزيد في الأرزاق والعمر. وكذلك

^{٧٣} محمد بن حسن الطوسي، عمدة الأصول ج. ٢، (قم: مطبعة المصطفوي، دون السنة)، ١٩٢.

^{٧٤} محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، (القاهرة: مكتبة النجاح، ١٣٨١ هـ)، ٢٤-٢٥.

^{٧٥} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، ١١.

^{٧٦} سورة الرعد آية ١١.

الصدقة، ترد عن البلاء والمصيبة. كما أشار ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه أن لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر. وكذلك في كثير من الرواية الأخرى المروية من الشيعة والسنين أن للإنسان إستطاعة لتغيير التقدير الأول من الله سبحانه وتعالى.^{٧٧}

فقال السبحاني بأن ليس المراد من البداء إلا تغيير المصير المقدر بالأعمال الصالحة أو الطالحة. فليس الإنسان في مقابل التقدير مسيرا، بل هو مخير في أن يغير التقدير بصالح أعماله وبطالح أفعاله. وإن هذا، أي تمكن الإنسان من تغيير المصير بعمله، هو أيضا جزء من تقديره سبحانه وتعالى.^{٧٨} وهذا كما فهم الشيعةون القدامى والمعاصرون عن البداء، كما شرحه الشيخ المفيد في كتابه بأن يقولوا في معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفقار بعد الإغناء، والإمراض بعد الإشفاء، والإماتة بعد الإحياء، وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الآجال والأرزاق، والنقصان منها بالأعمال.^{٧٩} وقال السبحاني نقلا عن الشيخ المفيد أن الفرق بين الشيعة ومن رد عن البداء يكون في لفظه، لا في معناه. وهكذا البداء عند الشيعة، الذي ليس له إختلافات كثيرة عنه، إلا في لفظه.^{٨٠} وكذا صدق الشيخ محمد عمارة، وهو سني، وكان شيخا كبيرا وأستاذا عظيما بالجامعة الأزهر الشريف، بقوله "إن لا نحسب أن هذا النوع من البداء وهذا المعنى يلقي كبير خلاف من أكثر تيارات الفكر الإسلامي".^{٨١}

فأما عندنا بعد أن نحلل ونقارن من الآراء من علماء الشيعة وأهل السنة والجماعة، من المفسرين، والمحدثين، والمتكلمين وغيرهم، فنأخذ النتيجة الثمينة بأن أحدا من العقائد الأساسية الواجبة للشيعة، يعني

^{٧٧} Quraish Shihab, *Sunnah-Syiah Bergandengan Tangan! Mungkinkah ?*, 177.

^{٧٨} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، ٣٧.

^{٧٩} أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان البغدادي، أوائل المقالات، ١٥١.

^{٨٠} الأستاذ الشيخ جعفر السبحاني، البداء في ضوء الكتاب والسنة، ١٣.

^{٨١} الشيخ محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، (بيروت: دار الشروق، ١٩٩١ م)، ٢١٩.

البداء، يكون من سبب الاختلاف بين هذين الفرقتين العظيمتين. فالشيعيون يرون أن هذا البداء يكون صفة لله تعالى عندما يكون المحو والإثبات في مشيئته تعالى وإرادته. ولكن السنيون لم يقبله صفة له تعالى، بل يقولون إن البداء صفة ذليلة دنيئة هنيئة غير لائقة لذاته تعالى. ومن هنا، حذر السنيون للشيعيين بهذه العقيدة وأنذرهم، وكفر بعضهم لهم بسبب هذه العقيدة. والعكس، بيّن الشيعيون إلى السنيين أن البداء عندهم ليس له الفرق العظيم بالنسخ عند السنيين، إلا في مكانة التغيير والتبديل، كان البداء يكون التغيير في التكوين، والنسخ يكون في التشريع. وغير ذلك، قد بيّن الشيعيون أن البداء لله مختلف بالبداء للخلق. لأن معنى البداء لله مجاز، والبداء للخلق حقيقة.

فلذلك، قد حللنا تفاسيرهم وكتبهم، فضلا كتب الشيعة وتفسيرها لتبيين ما غرب عنا لمنع التكفير والتضليل لأجل التعصبية في إحدى الفرقتين. ونجد أن الفرق بين مفهوم البداء عند الشيعة وأهل السنة والجماعة يكون في لفظه، ليس في معناه. وكان هما يدعيان أن الله المحو والإثبات في مشيئته وإرادته، فسماه الشيعيون بالإسم الواحد، وهو البداء. وأما السنيون سماه بالأسماء المتنوعة، منها المحو والإثبات، والنسخ، والتقدير المتغير، والتقدير المعلق وغير ذلك، وليس أحد من السنيين سماه بالبداء. وليس الاختلاف بينهما في معناه.